كيف وصلت إلى السماء؟

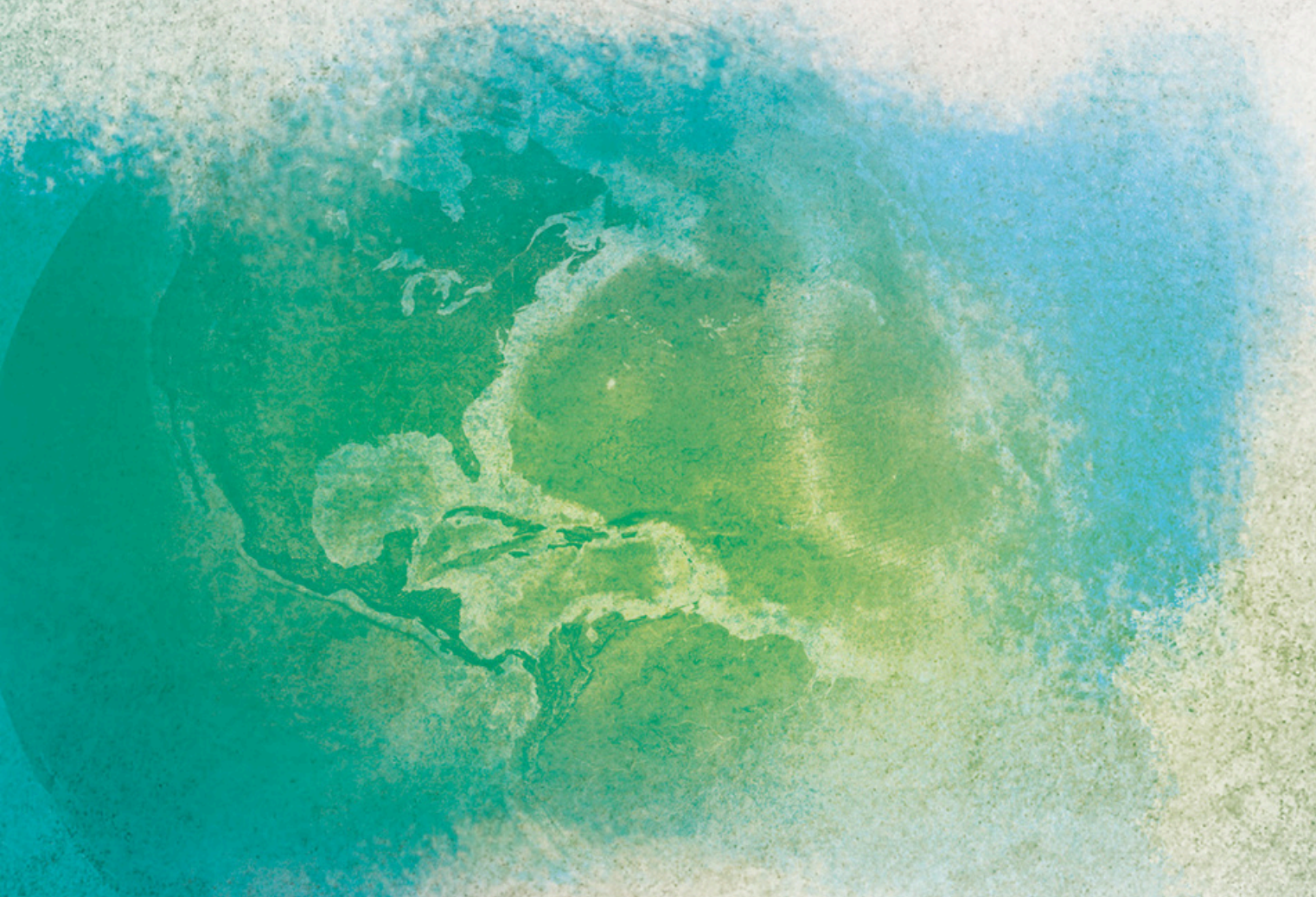

كولن سميث

Open the Bible®
with Pastor Colin Smith

How Can I Be Sure About Heaven

By Colin S. Smith ©*Open the Bible*, 2019 All rights reserved.

Unless otherwise indicated, all Scripture quotations are from The Holy Bible, English Standard Version (ESV), copyright ©2001 by Crossway, a publishing ministry of Good News Publishers. Used by permission. All rights reserved.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced in any form or by any means without prior permission from *Open the Bible*.

Design and typeset by High Note Design.

TGC

كيف وصلت إلى السماء؟
بقلم كولن سميث

تم الترجمة والنشر بالشراكة بين خدمة Open the Bible©، وهيئة TGC عربي.

جميع الاقتباسات الكتابية مأخوذة من ترجمة فاندايك، إلا إذا تمت الإشارة إلى غير ذلك.

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب، أو تصويره أو نسخه إلكترونيًا، أو نشره على أي موقع آخر دون إذن خطيّ مُسبق من ائتلاف الإنجيل.

ترجمة سامح نصري

كيف وصلت إلى السماء؟

كيف وصلت إلى السماء؟ يصعب تصوّر وجود سؤال آخر أهم من ذلك السؤال. إنه سؤال يمسّ كل إنسان في العالم أجمع. ومع أن جميعنا يختلف عن أحدنا الآخر، إلا أن البشرية جمعاء تشترك في شيء واحد وهو "الموت" سواء كان آجلًا أم عاجلًا. ربما يحين وقت انتهاء أيامك على الأرض في هذا الأسبوع، أو هذا الشهر، أو هذا العام، أو بعد أمد طويل، لكن الحقيقة المؤكدة... أن هذا اليوم قادم لا محالة. ستستيقظ يومًا ما وربما يكون آخر يوم لك على الأرض سواء كنت تدرك ذلك أم لم تدركه. فماذا سيحدث بعدها؟

إن قصة اللص الذي على الصليب ستخبرك كيف تضمن السماء. وترد هذه القصة في لوقا 23.

وَجَاءُوا أَيْضًا بِٱثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلَا مَعَهُ [مع يسوع]. وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي يُدْعَى "جُمْجُمَةَ" صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ ٱلْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَٱلْآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ.

(لوقا 23: 32-33)

ثم يخبرنا الكتاب بأن أحد اللصين قَالَ لِيَسُوعَ: "ٱذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ" (23: 42-43).

سيبدو طبيعيًا إن ظننا أن دخول الناس إلى السماء هو نتيجة عيش حياة صالحة، إلا أن اللص لم يحيا هذه الحياة. كان مجرمًا مذنبًا؛ إذ يوصف في إنجيل مرقس بأنه "لّص"، وحجم جرائمه كانت بشعة حتى أنه حكم عليه بعقوبة الإعدام.

أيًّا كانت الظروف والملابسات التي أسفرت عن إصدار الحكم بإعدامه، فمن الواضح أنه لم يعِش حياة صالحة، وكان مدركًا لهذا الأمر. فلم يجادل اللص أو يشكك في الحكم الصادر ضده ولا عدالة العقوبة الموقعة عليه، بل قال: "أمّا نَحنُ فبعَدلٍ، لأنَّنا نَنالُ استِحقاقَ ما فعَلنا" (23: 41).

ها نحن أمام رجل لم يعِش قط حياة صالحة، وقد أضاع حياته وفات أوان رجوعه، ولا يملك بدء صفحة جديدة ليصنع تغييرًا إيجابيًا في حياته. وبعد أن سُمّرت يديه ورجليه في الصليب، لم يعد في إمكانه أن يعمل أعمالًا صالحة. ورغم كل هذه قال له يسوع، "إنَّكَ اليومَ تكونُ مَعي في الفِردَوْسِ!"

إنه أمر يحيّر الذهن! ويتناقض تناقضًا صارخًا مع نمط تفكير ينتشر على نطاق واسع مفاده، "أن دخول السماء يتوقف على الطريقة التي أعيش بها. وكيما أدخل السماء لابد أن أعيش حياة صالحة بالقدر الذي يرضي الله." لكن من الواضح أن اللص لم يسلك هذا المسلك. إذن كيف دخل السماء؟ هذا هو السؤال الذي يفرض نفسه.

والخبر السار في هذا الأمر، إنه إن كان دخول هذا اللص إلى السماء أمرًا محتملًا وجائزًا، ففرصتك في الدخول قائمة أيضًا. وسترينا قصة اللص الطريق لدخول السماء، ويمكن إيجازها في ثلاث كلمات: التفت، واسأل، وثِق.

1. التفت

كان اللص معلقًا على الصليب طيلة ست ساعات على أقل تقدير، وفي أثناء ذلك الوقت حدث تغيير جذري في موقفه تجاه يسوع.

يخبرنا البشير متى أن اللصين صُلبا، واحد عن يمين يسوع وآخر عن يساره. "وعيّرَهُ اللّصانِ المَصلوبانِ مَعهُ أيضًا، فقالا مِثلَ هذا الكلام" (متى 27: 44).

في هذا المشهد ثمّة مذنبان كانا في بادي الأمر يُمطران يسوع بوابل من التعييرات. وفي حين استمر أحدهما في تعيير يسوع والسخرية منه، طرأ تغيير جذري على الآخر. وبمنظور الكتاب المقدس فهذا التغيير كان "التوبة".

إن التوبة هي التحول عن خطايا أدركنا جسامتها في ضوء فهمنا الحالي لها، وتوّجه صادق إلى الله بقدر النور الذي لدينا الآن من معرفة به (1).

---

(1) اقتباس بتصرف من كتاب جي. آي. باكر، **اسلكوا بحسب الروح** (الناشر: باكر، 2005)، 87.

وهكذا يتزايد عمق التوبة مع مرور الوقت، إذ ستصبح توبتك أكثر عمقًا كلما تعمق فهمك لطبيعة الله، واكتشفت هويتك فيه، وازداد استيعابك لطبيعة الخطية وقدر جسامتها. على أن كل رحلة تغيير لابد لها من بداية، وسترينا قصة اللص من أين تبدأ التوبة.

مخافة الله

ظل اللص ينهال على يسوع بتعييراته، إلى أن تملكته سكينة في روحه إذ كان يفكر فيما ينتظره. ما سبب صراعي مع لله؟ ما فائدة هذا الصراع، وما معناه حينما سأقف قريبًا أمامه لأعطي حسابًا عن حياتي؟

ثم التفت إلى اللص الآخر الذي كان مستمرًا في تعيير يسوع وقال له: "أَوَلَا أَنْتَ تَخَافُ ٱللهَ" (لوقا 23: 40).

يبدو أن اللص يعرف عن الله بعض المعرفة، لكنه لم يعطِ الله الأولية الصحيحة في حياته. فلو كان قد وضع الله في المرتبة الصحيحة لما أصبح لصًّا. لكنه تجاهل كل دعوات الله له في أثناء حياته؛ وسار على هواه، يعمل ما يحلو له. وكلما ابتعد عن الله، قل إحساسه بالذنب وتأنيب الضمير.

لكنه الآن على شفا أبدية لا تنتهي، وصار في قبضة الخوف من المثول أمام الله. إن مخافة الله هي بداية الالتفات والرجوع إليه، كما أن مخافة الله تقودك للاعتراف بيسوع المسيح ملكًا.

الاعتراف بالمسيح ملكًا

التفت اللص إلى يسوع وقال: "ٱذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ." (لوقا 23: 42).

لقد أدرك اللص أن يسوع ملك. وإذا كان ملكًا، لكنه على مشارف الموت، فربما إذن حين يذهب للعالم الآخر، قد يفعل شيئًا لمعونتي.

فأجاب يسوع هذا اللص الذي أدرك بأنه ملك، وقال له، "إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ" (23: 43).

كيف تضمن السماء؟ التفت، خَفْ الله، وسلّم حياتك ليسوع المسيح، وملّكه عليها.

2. اطلب

طلب اللص هذا: "ٱذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ." (لوقا 23: 42). يا له من طلب جريء يصل لحد الصفاقة. فمنذ لحظات كان متحالفًا مع اللص الآخر ضد يسوع إذ انهالا عليه بكلمات السخرية والتعيير.

ولو كان يسوع سيذكر هذا الأمر بالفعل حينما يكون في ملكوته، لقُضي على هذا اللص وانتهى أمره. لكن هكذا طلب اللص.

إن طلبك يعني حقًا أنك لست بارًا ولا تتظاهر بالبر.

لم يقل اللص: "أعلم أنني أخطأت كثيرًا، لكن ما من إنسان مثالي أو يخلو من العيوب، وقد عملت أعمالًا صالحة كثيرة في حياتي." لكنه قال، "أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لِأَنَّنَا نَنَالُ ٱسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا" (23: 41).

هذا الرجل طلب المسيح بكل صدق وأمانة وتواضع؛ فقد واجه الحقيقة بأنه كان خاطئًا. وقد أخطأ إلى الله وإلى الناس من حول. ونحن نشبهه تمامًا. لقد فشلنا في عمل ما دعانا الله لنعمله، ثم عملنا ما نهانا عن فعله.

وأمام الله العلي والقدير فجميعنا خُطاة. وهذا على وجه التحديد سبب ذهاب يسوع إلى الصليب، حيث صار هو الذبيحة، وبديلًا عن الخطاة ليموت عن الجميع. "وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إشعياء 53: 6). لقد حمل يسوع عنّا خطايانا بموته، حتى لا نحملها معنا عند موتنا.

إن طلبك يعني أنك لا تحاول إبرام صفقة مع الله.

نحن لا نحب أن نسأل أو نطلب شيئًا من أحد، بل على العكس نفضّل التعامل بلغة إبرام الصفقات المتبادلة. وأغلب الظن نحب جذب الطرف الآخر بما لدينا فنعرض له أولًا ما لدينا: "لديّ شيء مميز يمكنني أن أفعله من أجلك، أما الآن أريد منك أن تعمل شيئًا لأجلي أيضًا."

ولكن اللص لم يكن لديه ما يقدمه ليسوع. لقد كان خالي الوِفاض لَا يَمْلُك شَيْئًا على الإطلاق. كل ما كان في استطاعته أن يلتفت إلى يسوع، مثل شحاذ معوز، ويسأله. وهذا ما فعله.

هذا أمر بالغ الأهمية، لأننا بغريزتنا الطبيعية عندما نتعامل مع الله نميل للتفكير بمبدأ المنفعة المتبادلة: إذا صليت... إذا ذهبت إلى الكنيسة... إذا كنت كريمًا وسخيًّا في العطاء...إذا عشت حياة صالحة وخيّرة... فحتمًا سيدخلني الله إلى السماء.

لكن دعني أخبرك عمّا سيحدث إن اقتربت إلى الله متبعًا هذا النهج: أولًا، أنت تجتاز هذه الحياة وكأن الله مدين لكِ بمعروف، ثانيًا، تساوم على مستقبلك على أساس صفقة لا وجود لها، ببساطة لأن الله لا يعقد صفقات تبادلية.

فأن تطلب الله وتسأله فهذا يعني اقترابك إليه بيدين فارغتين تمامًا، عالمًا، بل مدركًا تمامًا، أنك لا تملك شيئًا يمكنك أن تقدمه لله بمفهوم الصفقات. كل ما تَستطيع أَن تَفْعَله هو أن تسأل، فبسؤالك إنما تُلقي بذاتك بجملتها على رحمته مُتطلعًا إليه لكي تنال نعمته.

إن بساطة ما فعله اللص إن جاز التعبير كان احتيالًا؛ إذ أخذ هذا اللص يتسلل إلى الله فابتدأ بمخافة الله، ثم أدرك حالة الخطية وأقر بها، وأخيرًا سأل يسوع أن يخلّصه، وآمن به ملكًا على حياته، ثم ترك كل شيء آخر بين يديّ الرب.

3. ثق

تصوّر أنك مصاب بمرض خطير في القلب، وأنك في احتياج شديد لإجراء عملية قلب مفتوح. ثم تذهب إلى الجراح فيخبرك بالتالي: "أولًا، سنخضعك تحت تخدير كامل، ثم سأتناول المِشْرَط وأشق قفصك الصدري."

يستمر الطبيب في وصف تفاصيل جراحية مخيفة عمّا سيفعله، ثم يسلّمك بضعة أوراق قائلًا: "إليك بعض الأوراق الرسمية أريدك أن توقع عليها. وبمجرد التوقيع بالموافقة سنحدد موعد إجراء العملية."

يوقع الناس على هذه الأوراق لأنهم يعلمون تمامًا أنه بإمكان الطبيب الجرّاح أن يفعل شيئًا ليس باستطاعتهم فعله لأنفسهم؛ وإن لم يوقعوا فليس لهم أي أمل آخر. ومن ثمّ يضعون أنفسهم بالكامل بين يدي الجرّاح: "لتعمل العملية الجراحية. إني أثق بك."

وعلى نفس النحو، وضع اللص نفسه بالكامل بين يدي يسوع، فقال يسوع إلى هذا الرجل الذي آمن به: "إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ." هذا هو وعد المخلّص لكل شخص يضع ثقته فيه ويؤمن به.

وأنت عزيز، إذا ما التفت اليوم إلى يسوع، وطلبته لكي يخلّصك، فستكون لك كلمته ووعده لك؛ إذ يقول يسوع: "وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا" (يوحنا 6: 37). لذا أدعوك أن تدنوا منه، وتطلبه من كل قلبك، وتصدّق كلمته، وتثق في وعده لك.

الثقة حتى في وسط الظلمة

حالما آمن اللص بيسوع ووضع ثقته فيه: "كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا" (لوقا 23: 44). لقد حلّت هذه الظلمة في منتصف النهار، واستمرت طيلة ثلاث ساعات.

حاول أن تضع نفسك محلّ اللص للحظات. لقد آمنت للتو بيسوع، وسلمت حياتك إليه ووضعت رجاءك في دخول السماء عليه. ثم في لحظة تجد نفسك في عمق ظلمة مرهبة، وأذناك تسمعان صوت يسوع صارخًا: "إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (متى 27: 46).

لابد أن اللص قد تسائل: ما الذي يجري ههنا؟

عندما تضع ثقتك في يسوع قد تمر ببعض الأوقات في حياتك تختبر فيها ظلامًا دامسًا. لا تستغرب إذا ما تعرضت لمثل هذا الأمر. تمسك بوعد يسوع في وسط هذا الظلام الدامس كما تتمسك به في وسط النور أيضًا.

الثقة حتى في وسط الألم

من يعتقد أن الإيمان بيسوع والثقة فيه ستثمر عن حياة خالية من الألم لم يفهم بعد ما يقوله الكتاب المقدس. فكّر لحظات في حجم الألم الذي اجتاز فيه اللص حتى بعدما آمن بيسوع وقبله مخلصًا له. كان ألم الصلب يتفاقم بمرور الوقت ويزداد سوءًا إذ اتسعت جراح اليدين والقدمين، واشتدت الحمى في الجسد كله. لقد عانى اللص إذًا من ألم جسدي حتى بعدما وثق في يسوع أكثر مما كان يثق فيه قبلًا.

عليك أن تثق بيسوع في أوقات الظلمة، وكذلك عليك أن تضع ثقتك فيه في أوقات الألم.

الثقة حتى في الموت

ومثلما فعل اللص، كذلك ينبغي أن تثق في يسوع حينما تعبر بلحظة الموت.

منذ بضع سنوات مضت، كان أحد الرعاة المُسنين يعاني من مرض عُضال، وكان على شفا الموت. فذهب أحد الرعاة لزيارته، وكان محمّلًا برسالة مباشرة فقال له: "جئت لأخبرك كيف تموت. انسَ حياتك المسيحية."

"انسَ حياتي المسيحية؟! هل أنت جاد في هذا؟!"

"نعم، بكل تأكيد، وإليك الدافع لما أقول: إن رقدت الآن، وفكرت فيما قدمته وعملته من أجل يسوع، فلن يدم الوقت طويلًا حتى تدرك الأمور التي لم تعملها من أجله، والأشياء التي كان عليك أن تفعلها، وأخرى كان يجب أنت تحسن فعلها بصورة أفضل. وإن فعلت ذلك، حتمًا ستجد الشكوك والمخاوف تحاوطك من كل حدب وصوب."

"إذًا، ماذا يجدر بي أن أفعل؟"

لتنسْ كل ما فعلته لأجل يسوع، وثبّت عينيك كاملة على ما قد فعله هو لأجلك."

في الحياة والممات الطريق واحد: انسَ ما فعلته أو فشلت في فعله من أجل يسوع، وثق تمامًا بما فعله يسوع على الصليب من أجلك.

ينعم اللص الآن بالسماء، والسبب ليس أنه كان بلا خطية أو أنه عاش حياة صالحة بقدر يتيح له دخول السماء. اللص موجود في السماء لأن يسوع قد دفع ثمن خطيته، وأعطاه حياة جديدة، بل حياة أبدية. وما فعله يسوع لذلك اللص، يقدر أن يفعله معك.

الفارِق بين اللصين

تذكَّر جيدًا أن مشهد الصلب شهد وجود لصين، أحدهما نال الخلاص، أما الآخر لم يقبل المسيح فهلك. كلاهما كانا على مقربة من يسوع، وكلامها سمعاه يصلي قائلًا: "يَا أَبَتَاهُ، ٱغْفِرْ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ."

هنا يكمن التفاوت بينهما: بينما التفت أحد اللصين ليسوع بتوبة وإيمان، ظل الآخر بعيدًا.

قد يتبادر إلى ذهنك فكرة عدم تسليم حياتك الآن للرب قائلًا: "أريد متسعًا من الوقت لأفكر."

إذا اتخذت هذا الخيار فربما يحدث أحد أمرين: الأول، إما أنك ستتوب في وقت لاحق، لكنك ستتمنى لو كنت قد قدمت توبتك في وقت مبكر من حياتك، أو الأمر الثاني، أن يتقسى قلبك تجاه يسوع، ولن تُقبِل إليه أبدًا. لذا فإني أدعوك أن تُقبِل إلى يسوع الآن بالإيمان بتوبة حقيقية.

أو من جهة ثالثة، ربما تتملكك بعض المخاوف بأن الرجوع ليسوع قد فات أوانه. تذكّر إذن اللص الذي على الصليب. لم يفُت الأوان بالنسبة له ولم يفُت الأوان بالنسبة لك أيضًا. لقد حان الوقت الآن لكي تلتفت إلى يسوع فترجع إليه، وتسأله، وتثق به. أن تأتي مبكرًا فهذا أفضل من أن تأتي متأخرًا، ومع هذا فأن تأتي متأخرا أفضل من ألا تأتي أبدا.

دعني أقودك بكلمات يمكنك أن تسترشد بها في صلاتك إلى الله:

يا ربي يسوع، أعترف بأنني خاطئ وأنني لا أستحق أن أدخل سمائك. لكني أؤمن أنك أنت الملك، وأنك قد مت على الصليب من أجلي. لذلك أطلب منك أن تذكرني لأكون معك في ملكوتك. إني أثق بوعدك بأن كل من يُقبِل إليك لا تخرجه خارجًا.

لتعرف المزيد عن السماء، قم بزيارة

https://ar.thegospelcoalition.org/heaven/

Open the Bible®